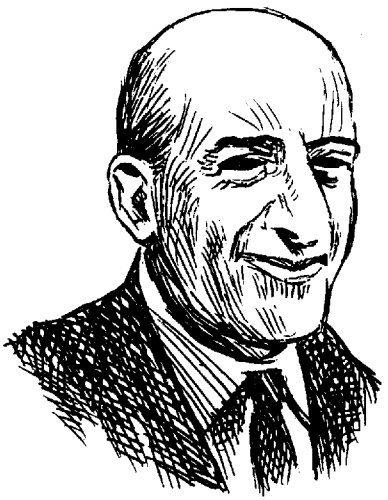

آرون .. وفلسفة العدل

١٩٠٥ - ١٩٨٣

آرون .. وفلسفة العدل
(١٩٠٥ - ١٩٨٣)

هو المفكر والفيلسوف الفرنسى « ريمون آرون » الذى توفى فى العشرين من أكتوبر ١٩٨٣ على إثر أزمة قلبية داهمته وهو فى ساحة قصر العدل يدافع عن زميل له بجامعة السوربون ضد كاتب آخر ، وكان « آرون » قد احتفل بعيد ميلاده الثامن والسبعين فى مارس ، كما كان يستعد لإصدار الجزء الباقى من مذكراته التى صدر الجزء الأول منها فى العام نفسه ..

و« آرون » أستاذ علم الاجتماع السياسى ، وعضو مؤسسة الفيجارو الصحفية . كان ليبراليًّا لاينحاز إلى اليمين أو اليسار ، وإن ظل يهاجم اليسار الستالينى واليسار السارترى على حد سواء ، على الرغم من أنه اشترك إلى جانب سارتر فى المقاومة

من أجل تحرير فرنسا بدون أن يكون موالياً للزعيم ديجول أو مؤيدًا له .

كما اشترك مع سارتر فى المقاومة ، وكان « آرون » زميلاً له فى مدرسة المعلمين العليا ، ولكنه اختار السلك الجامعى ، تاركاً سارتر لمتاهاته ووجوديته .

وكان « آرون » يقول : إننى أكثر تفاؤلا ، فلاشك أن المجتمع الحديث الذى لايزال فى دور التكوين ، قد حقق كثيرًا من الآمال ، فهو يمنح العدل للناس ، ويوزع المساواة بينهم ويهيئ لهم فرص الحياة المطمئنة ، فرص التعليم وفرص التقدم .

ويرى أن التفكير الاجتماعى وتطبيق علم الاجتماع على المجتمعات هو فى الحقيقة منهج جديد لم يظهر إلا فى أعقاب الثورة الفرنسية على أيدى فلاسفة الاجتماع : سان سيمون ، وأوجست كونت ، وإميل دوركايم .

وتتلخص فلسفة آرون الاجتماعية فى كتابيه الكبيرين : « مراحل الفكر الاجتماعى » و« مقدمة لفلسفة التاريخ » .. وفيهما يناقش أسلافه مونتسكيو ، وتوكفيل ، وماركس ، وفيبر ، كما يناقش معاصريه سارتر ، وشتراوس ، والتوسير .

ويؤسس آرون مناقشاته على مبدأ المساواة الذى طبقه الأسلاف على أساس من التحليل الاجتماعى ، ويعتقد آرون فى

إمكان قيام منهج جديد للمساواة على أساس اقتصادى ، مع تحديد بناء هذا النظام الاقتصادى ، سواء فى جناحه النظرى (الرأسمالية) ، أو فى جناحه التطبيقى (التكنولوجيا) .

ويقرر آرون أن أى منهج سياسى لايتعارض مع أى منهج اقتصادى ، ولكن العالم يفتقر إلى منهج للمناهج أو إلى نظام للنظم ، ذلك أن دراسة المجتمع العالمى تتطلب الوقوف أمام نظم الانتخابات ، والتعرف على مدى التشابه أو الاختلاف بينها فى كل مناطق العالم ، فهناك ولاشك علاقة عارضة أو متفق عليها بين منهج الأحزاب المتألفة أو المتحدة ، وبين المنهج الاقتصادى العام ، وهناك – ولاجدال – علاقات كثيرة أخرى غير هذه العلاقة العارضة بين الاقتصاد التجارى وأحزاب الأغلبية .

إما الديمقراطية البرلمانية القائمة على منهج المنافسة ، فقد كانت مرتبطة فى الأصل بالاقتصاد التجارى القائم على منهج المنافسة هو الآخر .

ويعلن آرون عدم إيمانه بحتمية التاريخ ، أو جدلية التاريخ ، وعدم اعتقاده فى وجودهما على الإطلاق .. كما لايؤمن ولايعتقد فى دفع حركة سير التاريخ بناء على تفسير للمجتمع الرأسمالى فى الوقت نفسه .

وبرحيل « ريمون آرون » يسدل الستار على جيل بأكمله من المفكرين الذين ربطوا بين السياسة وعلم الاجتماع ، أو – بتعبير آخر – ربطوا بين الفلسفة السياسية والفلسفة الاجتماعية فى عصرنا الحديث .

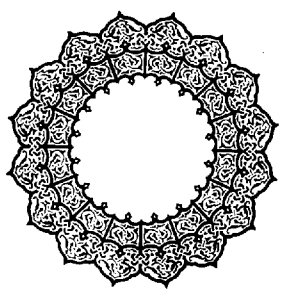

أحمد زكي
وفلسفة الوحدة

١٨٩٤ - ١٩٧٥

أحمد زكى وفلسفة الوحدة
(١٨٩٤ - ١٩٧٥)

كان الدكتور أحمد زكى عالماً ومفكرًا وأديباً تركز علمه حول الكيمياء ، ولكنه فتح آفاقاً رحبة فى العلوم وانفتح عليها مؤسساً ومشرفاً وممارساً ، ومنظرًا ومعلقاً .. وتكز أدبه على الخواطر ، ولكنه امتد به إلى عالم القصة والرواية ، فأمده بالكثير مؤلفاً ومترجماً ومُحلِّلاً .. أما فكره فقد شمل الكون وشمل وحدانية الله ، ووحدة العرب ، عصرية الإسلام وعصر الإصلاح ، فلسفة الحياة وحرية الفلسفة ، تنظيم الأسرة ، وتحرر المرأة .. بناء المجتمع ، والديمقراطية السياسية .. التعليم الجامعى ، والثقافة الشعبية .

والدكتور أحمد زكى ، الذى توفى فى الثالث عشر من أكتوبر عام ١٩٧٥ عن عمر يناهز الثمانين ، « ولد فى الخامس

من أبريل عام ١٨٩٤ بمدينة السويس » ، وتلقى تعليمه فى القاهرة حتى تخرج فى مدرسة المعلمين العليا متخصصاً فى الكيمياء ، ثم استكمل دراساته فى جامعات « ليفربول » و« نوتنجهام » « ومانشستر » و« لندن » ليحصل على أعلى الدرجات العلمية ، وهو أول أستاذ مصرى فى الكيمياء ، وأول سكرتير عام لنقابة المعلمين ، وأول رئيس للأكاديمية المصرية للعلوم ، وأول رئيس تحرير لمجلة العربى الكويتية .

وكان الدكتور أحمد زكى مديرًا لجامعة القاهرة ، وعضوًا بمجمع اللغة العربية ، ورئيساً لتحرير مجلة الهلال ، وعضوًا بلجنة التأليف والترجمة والنشر ، وعضوًا بالمجلس الأعلى لدار الكتب ، وعضوًا بمجلس إدارة البنك الصناعى .

كذلك كان الدكتور أحمد زكى كاتباً فى البلاغ والثقافة والرسالة والاثنين ، وهو مؤسس الجمعية الكيميائية المصرية ، والمجمع المصرى للثقافة العلمية ، ومنشئ المعهد القومى للبحوث العلمية .

والدكتور أحمد زكى هو آخر وزير للشئون الاجتماعية فى آخر حكومة قبل الثورة ، والتى لم تستمر غير عشرين يوماً برياسة حسين سرى باشا ، إذ أن حكومة نجيب الهلالى باشا لم تدم أكثر من أربع وعشرين ساعة قامت بعدها ثورة ٢٣ يوليو .

ترجم الدكتور أحمد زكى العديد من الكتب العلمية ، وخاصة فى الكيمياء ، ووضع أكثر من كتاب يجمع بين الرؤى العلمية والفكرية والدينية والاجتماعية ، كان من أبرزها « مع الله فى السماء » و« مع الله فى الأرض » و« قصة الميكروب » و« فى سبيل موسوعة علمية » إلى جانب مقالاته التى نرجو أن تُجمع فى كتب منفصلة .

وتجلى الجانب الأدبى عند الدكتور أحمد زكى فى ترجمته لروايتى غادة الكاميليا ، وجان دارك ، ومجموعته القصصية « بين المسموع والمقروء » وخواطره المنشورة فى « ساعات السحر » و« مع الناس » .

أما فكره فيتميز بخصائص تشبه خصاله : التعقل ، والنظرة الكلية بعيدة المدى ، والرؤية الواضحة ، والوسطية ، وعدم الانحياز لمذهب أو حزب أو أيديولوجية ، أو نظام أو فئة أو طائفة ، ولكنه كان أخلاقيًّا فى آرائه كما فى سلوكه وتعامله مع الآخرين ، ولذلك لم يكن سياسيًّا على الرغم من دعوته الثلاثية : السلام العالمى ، والوحدة العربية ، والتقدم .

كان يؤمن بأن الحق فوق القوة ، ولكنه يعترف بأن القوة فوق الحق فى زماننا هذا ، وأن قانون الغاب هو الذى يحكم ويسود ، وأن الإنسان إمّا آكِلٌ أو مأكول فى غياب العقل

والعدل والخير .. ذلك أن أوراق اللعبة كلها فى يد الولايات المتحدة الأمريكية ، وما هيئة الأمم المتحدة إلا ناسك فى معبدها ، حتى أن الاتحاد السوفيتى لايمكن أن يطاولها فى شىء إلى النهاية ، وإلا هلك الجميع .. كما أن الصهيونية ليست هى إسرائيل ، وإنما هى الوجه القبيح للسيطرة الإمبريالية ، وأزمة الشرق الأوسط هى أزمة وحدة الصف .

السلام إذن محفوف بالمخاطر ، والديمقراطية نظرية نسبية ، والقومية حالة وجدانية ، والوطنية مرهونة بالغربة ، والوحدة رهن بالمصالح ، والقيادات .

وقد طالب الدكتور أحمد زكى بإنشاء جامعة إسلامية تشمل الجامعة العربية حتى يمكن الرجوع إلى الدين السمح وتخليصه مما أحاط به فى عصور متتالية ، وخاصة ذلك الاضطهاد الذى نشهده فى مناطق مختلفة من عالمنا المعاصر ، فالإسلام ليس عقيدة تختار أو تفرض أو تحارب ، ولكنه حركة إنسانية وحضارة علمية .

وتقوم نظرية البناء الاجتماعى فى فلسفة الدكتور أحمد زكى على العادات والتقاليد والقيم والغرائز ، وهى مكونات السلوك الإنسانى بشكل عام .. فالضمائر عنده أهم بكثير من القوانين ، والرقابة الذاتية أجدى من الرقابة الحكومية أو الجماعية .

ويستند فى نظرته للإصلاح الاجتماعى إلى القضاء على الفقر ، فهو المأساة التى تؤثر على الإنسانية جمعاء ، أما الحل فيكمن فى الصناعة والتصنيع .

ويرى أن المرأة هى أساس الأسرة ، وينبغى أن تكون زوجة صالحة ومربية فاضلة ، دون أن يتعارض هذا مع تعليمها وثقافتها وعملها خارج البيت .

وكم من نظرات ونظريات أخرى تضع الدكتور أحمد زكى فى طليعة الفكر العربى الحديث ، بل والعالمى أيضاً .

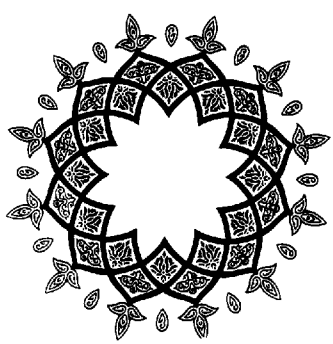

سنجور.. والفلسفة الزنجية

١٩٠٦

سنجور .. والفلسفة الزنجية
(ـ ١٩٠٦)

هو الشاعر الزنجى الشهير، والرئيس السابق لدولة السنغال، والذى يحتل مكانة مرموقة فى تاريخ الشعر الفرنسى، كما أنه ينفرد من بين هؤلاء الذين جاءوا من الجزر أو عاشوا فيها بمذاق خاص مثل لو كونت دوليل وميريديا ووبارنى وسان جون بيرس ..

تميز ليوبولد سيدار سنجور بأنه صوت مختلف ومغاير، ولكنه قريب وحميم للأصوات الفرنسية والآذان الغربية، على العكس من ايميه سيزير زميله وصديقه فيما يسمى بالأدب الزنجى، والذى حافظ على مأثورة الشعبى وتراثه المحلى وفكرته القومية ..

نشر سنجور «أغانى الظل» عام ١٩٤٥ وفيه يقول:

هل نسيت نبلك، هل نسيت أن تغنى

للأسلاف والأمراء والآلهة

بعيداً عن الأزهار وقطرات الورد؟

كان عليك أن تمنح فاكهة حديقتك البيضاء

للأفئدة ..

إنَـى أتذكر .. إنى أتذكر

يالها من مسيرة وئيدة على امتداد

أيام أوروبا

عندما تصدح موسيقى الجاز اليتيمة

التى تقطر دما .. تقطر دما !

فهل يستطع إنسان فرنسا الفرنسى أن يستوعب الطبيعة الإنسانية الإفريقية؟

هذا هو السؤال الذى يظل يطرحه سنجور على نفسه، والذى حاول أن يجيب عليه خلال مسيرته الفنية والسياسية على السواء.

لم تكن إجاباته قاطعة ولكنها جاءت محصلة لكل أعماله ولكل أفعاله، ربما منذ مولده فى التاسع من اكتوبر عام ١٩٠٦ بمدينة جوال على ساحل السنغال الصغير،وبعد أن ألتحق بمدارس الإرساليات الفرنسية، ثم انتقل إلى الجامعة الفرنسية ليكون أول إفريقى يحصل على درجة الاجريجاسيون، وأول إفريقى يدرس فى الليسيه وأول إفريقى يشغل منصبا رسميا فى الحكومة الفرنسية، إذ عين مشرفا على مكتب إدجار فور فى عام ١٩٥٥ ، كما عين وزيراً بحكومة المستعمرة السنغالية قبل استقلالها عن فرنسا .. أما فى أغسطس عام ١٩٦٠ فقد انتخب كأول رئيس لجمهورية السنغال المستقلة ..

وقد حصل سنجور على العديد من شهادات الدكتوراه الفخرية فى العديد من دول العالم .. كما انتخب عضوا مؤسساً بجمعية فرنسا للدول الأجنبية عام ١٩٦٩ ..

وحصل سنجور أيضا على جائزة الشعر الدولية عام ١٩٦٣ ، وعلى الميدالية الذهبية للأكاديمية، وعلى جائزة أبوللينير، وجائزة موناكو عام ١٩٧٧ ، وجائزة دوكا الدولية، وقد وصلت مؤلفات ليوبولد سيدار سنجور إلى عشرين كتابا ..

فى هذه الكتب جميعا سواء كانت شعرا أو نثرا يقترب سنجور

من الكاتب الفرنسى الشهير بول كالوديل ..

وهكذا أتاح سنجور للشعر الفرنسى أن يتربع على عرض عاصمة أخرى إلى جانب باريس، كما منح الفرنسيين وطناً ثانياً إلى جانب فرنسا ..

ويتحدث سنجور عن الزنجية والعالمية والإنسانية، كما يتحدث عن الحب والألم والحيرة ..

ويقول : من الصعب التواجد، ولكن من المدهش أن نحيا ..

ثم يقولها شعرا :

رسالتك على العلم

تحت المصباح المضئ

زرقاء مثل السترة

الجديدة والسماء والبحر

وحلمى وملح النهر

والهواء واللبن والخبز

والأرز ومعنى الحياة

رسالتك بدونها لا تكون

الحياة حياة

شفتاك ملحى وشمسى

هوائى المنعش وسحابتى

وتمر الأعوام ويترك سنجور الحكم بإرادته وسط دموع شعبه ليتفرغ للشعر والأدب والفن والذكريات.

وهذه القصيدة التى لم تنشر من قبل هى نتاج وحصيلة الأيام الهادئة والليالى الحالمة والذكريات بحلوها ومرها ..

نستمع إليه يقول :

جئت

عيناك اخترقتا عينى

تشابكت الأيدى، ويا للألم

ولم تفترقا، ذراعانا

ولا ساقانا

ولا روحانا المتحدتين

فى العذاب الأبدى

أعلم أن الشباب

يتفاعل فجأة بضربة واحدة

جافة وخالصة

ضربة واحدة حمراء

فى لون الدم والحب والورد

والأغنيات التى تتغنى بالجنة الضائعة،

جئت.

أما حيثيات قبول سنجور عضواً فى الأكاديمية الفرنسية فقد صيغت على النحو التالى :

«برلمانى قديم، ومناضل قديم، وجندى سابق بالجيش الفرنسى، تلقى دروسه فى فرنسا، وهو متزوج من فرنسية، ومواطن حاصل على الجنسية الفرنسية إلى جانب جنسيته الأصلية، ورئيس دولة سابق له كل حقوق الكتاب الفرنسيين».

هذا ما قرأه آلان بيريفيت الذى استقبل سنجور فى جلسة الأكاديمية الأولى بعد انتخابه، رغم أنه كان عضواً أجنبيا منتخبا فى عام ١٩٦٩ بدلا من الراحل الأمريكى ايزنهاور ..

سوستيل.. وفلسفة الزمن

١٩١٢

سوستيل .. وفلسفة الزمن
(١٩١٢ ـ)

«هو الكاتب الاجتماعى والوزير السابق والمتخصص فى الحضارة الكولومبية القديمة، إنه رجل واسع الاطلاع، عميق الثقافة، واضح حتى فى السياسة، كما أنه مؤلف غزير الإنتاج، أصدر العديد من الدراسات والكتب فضلا عن المناصب السياسية الكبيرة التى شغلها، متقنا لعمله، شغوفا بمهنته، شديد الحب لوطنه وللغته ولثقافته».

هكذا قدم سكرتير عام الأكاديمية الفرنسية المفكر جاك سوستيل الذى احتل مقعد بيير جاكسوت وهو أصلا مقعد الفيلسوف لابروبير ..

وجاك سوستيل ولد فى الثالث من فبراير عام ١٩١٢ بمدينة مونبيليه وحصل على درجة الاجريجاسيون فى الفلسفة عام .

١٩٣٢ .. عمل نائبا لمدير متحف الإنسان ومسئولا عن محاضرات الكوليج دى فرانس .. صحب الجنرال ديجول فى لندن عام ١٩٤٠ وعين بعدها بوزارة الاستعلامات ثم وزيرا للاعلام عام ١٩٤٥ ووزيرا للمستعمرات الصحراوية فى وزارة ميشيل دبريه.

وتخصص جاك سوستيل فى علم المجتمعات وبصفة خاصة المكسيك القديمة ونشر مؤلفات عديدة أبرزها على الإطلاق «الحياة اليومية» و«فن المكسيك القديمة» و«حضارة المايا» ..

وقد بدأ تأثره بعلم الاجتماع بعد عمله مع بول ريفيت ومارسيل موسى، فقد أدرك أن دراسة علم الإنسان هى الطريق لدراسة ومعرفة الحياة .. واستطاع أن يفرق بحسم بين ما وراء الطبيعة أو الميتافيزيقا وبين الحقيقة الإنسانية ..

وهذا ما ظهر واضحا جليا فى أول كتبه «المكسيك، أرض هندية» الذى صدر عام ١٩٣٥ .

وامتد تخصص سوستيل إلى دراسة الحضارة الكولومبية القديمة، والتى تسبق الحضارة الحديثة بألف عام، فقد بنى هذا الشعب الأهرامات والمعابد والمسلات والقباب واخترع اللغة الهيروغليفية ..

وقد ركز سوستيل مذاكرته «حول وضد كل شىء» على

المعلومات السرية التى اطلع عليها أثناء جولته مع الجنرال ديجول فى لندن ..

وكان يرى أن الجزائر مقاطعة فرنسية على عكس ما كان يرى ديجول .. ولكن عندما عين حاكما عاما للجزائر عام ١٩٥٥ أخذ يفكر فى الجزائريين الذين يعملون فى فرنسا سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين .. وكانت الأصوات ترتفع لنصرة الجزائر واستقلال الجزائر، فأدرك خطأ موقفه، الذى عبر عنه فى كتابه « المحبوبة والمعذبة : الجزائر» الذى أصدره مع كتاب آخر بعنوان «الأمل الذبيح» .. ففى الكتابين تسجيل لكل ما شاهده وأحس به واقتنع، ولم يملك بعد ذلك إلا الصمت والعزلة، وخاصة بعد أن قرر ديجول إنهاء الحرب الجزائرية، وترك الجزائر لاستقلالها وحريتها، مثل سائر الشعوب مثل فرنسا بداية على سبيل المثال ..

والغريب فى أمر هذا المفكر الاجتماعى أن موقفه من الجزائر كان يصدر عن حب للجزائر، وليس عن كراهية أو استعمارية، فهو يقول فى خطابه المفتوح الذى وجهه إلى الآخرين : «حتى وأنا ملتزم تجاه الأحداث، فسأظل جامعيا تربويا وكاتبا، واعتقد أن علينا أن نلعب دوراً ما فى الحياة العامة ..»

ولأن جاك سوستيل رجل علم ـ وهو يعلم ذلك تماما ـ فهـو

لا يجهل بالتأكيد تفرقة ماللارميه بين ما تعنيه الكلمات وما تعيه تلك الكلمات ..

كما أنه لا يجهل المثل أو الحكمة الألمانية التى تقول :

«العلماء يخترعون، بينما يخلق الله الزمن» ..

وهذا يعنى أن الزمن قادر على تغيير الواقع وقادر على تغيير المواقف بالتالى ..

ترى هل تغير جاك سوستيل بعد أن أصبح عضواً بالأكاديمية الفرنسية، أعرق الأكاديميات على الإطلاق ؟ !

بيـرنيولا..وفلسفـة الفلسفـة

بيرنيولا .. وفلسفة الفلسفة

( )

ولد المفكر والفيلسوف الإيطالى «ماريو بيرنيولا» بمدينة استى، عمل أستاذاً للفلسفة بجامعة ساليرن .. وقد شارك فى السبعينات من هذا القرن فى حركات الطليعة الثقافية على مستوى التنظير، فأصدر كتابه «الانحياز الفنى» كما أصدر كتابه الهام بعنوان «اللحظة الخالدة» الذى يحلل فيه الخطوط الرئيسية التى تحكم قوى التفكير الأوروبى ..

ويربط «ماريو بيرنيولا» بين الموقف المعاصر فى الحقل الثقافى الإيطالى وعصر الباروك الرومانى .. كما أن له نظرية فى التقسيم المفتعل بين (المركز) و(الهامش) فى كل شىء.

وعلى الرغم من أن «بيرنيولا» يعمل فى الفلسفة إلا أنه يهتم اهتماما خاصا بالأدب، وخاصة بما يسمى فى إيطاليا اليوم بنظرية (ما وراء الأدب) .. وقد بدأ اهتمام بيرنيولا بما أسماه هو نفسه (المرجع الذاتى) أى أن يكون الإنسان هو أهم مصادره، إن لم يكن هو مصدره الوحيد.. وهذا ما حاوله من قبل «موريس بلانشو» فهو يرى أن مغامرة التعبير الداخلى لا يمكن أن تنفصل عن الكتابة ذاتها. وهى التعبير الصادق المعترف به بالنسبة للكاتب.

ومع هذا عاد مرة أخرى إلى المجتمع كمصدر هام من مصادر الكاتب، حتى ولو كان يكتب عن نفسه .. وفى هذا يرى أن الانطباع له دوره أيضا فى التعبير، وهو نوع من الالتزام الفنى بالمجتمع، فالإنسان يتأثر بمجتمعه وأيضا يؤثر فيه .. هى إذن ليست دعوة منفصلة، لأن الجمع بين الذات والمجتمع، ليس جمعا مستحيلا أو مرفوضا بإزاء ما أسماه «المرجع الذاتى».

والفكرة قد تؤكد أن عالم الفن هو فى النهاية عالم مفتعل، إن لم يكن عالماً مزيفاً أو مصنوعا على أقل تقدير.

ويرى «بيرنيولا» أن هناك افتراضات فلسفية مسبقة هى التى تخلق عالما صادقا وحقيقيا، سواء كان ذلك فى الفن أو فى الأدب، أو فى أى نشاط إنسانى خارج نطاق الخلق والابتكار، لأن كل

صناعة تتطلب بالضرورة خلقا وابتكارا .. ولعل الدادية والمستقبلية والسوريالية، تلك الأنشطة الفنية، لعلها قامت على تلك الافتراضات الفلسفية المسبقة، وإلا لما قامت أصلا.

ولقد كان «نيتشه» هو أول من لفت نظره إلى ضرورة رفض الرؤية الميتافيزيقية للعالم .. أما نظرية «بيرنيولا» فهى تسعى إلى خلق علاقة بين العالم الواقعى وعالم المعانى. ولذلك كان لابد من تخطى كل الحواجز التى تفصل بين الفن والسياسة والحياة .. وكذلك الفكاك من قبضة «هيجل» ونظرية دور القوة فى التاريخ ..

ويؤمن «بيرنيولا» أيضا بالعقيدة .. يقول «بيرنيولا» : «لننظر إلى عقيدة دون كيشوت، لقد سعى إلى هلاكه وحارب طواحين الهواء، نتيجة لما يعتقد فيه، حتى وإن كانت مجرد أفكار أو أوهام .. ولننظر أيضا إلى دون جوان والذى راح ضحية الوعد بعد أن آمن بما وعد. وإن كان قد غرر به من أعدائه .. أما فيما يتعلق بالأديان، فإن العقيدة تكون أوضح، لأن الهدف أسمى، هو هدف إلهى وإنسانى فى الوقت نفسه، فكل الأنبياء كانوا يفكرون فى الله وفى الإنسان معاً.

وفى إيطاليا بشكل عام يعتقدون فى العمل وفى العلم، وينتظرون التقدم والعدل، ويحاولون نسيان ذواتهم والذوبان فى المجموع،

ولا يهتمون بروما القديمة أو بالدولة الرومانية والقانون الرومانى والحضارة الرومانية والمجد الرومانى .. فهم يرون أن لكل عصر ظروفه واحتياجاته وأفكاره وناسه وفلسفته.

يقول المفكر الإيطالى المعاصر «ماريو بيرنيولا» : جوبيتر اليونانى كان يطالب الناس بالتضحيات التى تصل إلى حد تقديم الأزواج عن طيب خاطر .. أما جوبيتر الرومانى فكان يقول للناس، سأعطيكم ما تريدون إذا أثبتم القدرة على مناقشة الآلهة ..

وفى العصر الحديث تعطينا إيطاليا أمثلة أخرى، فايجناس دى لويو لا يتفوق على لوثر، فهو بالنسبة للمثقفين، ذلك المخلص الذى حول المعجزة إلى فعل بعد أن انتهى عصر المعجزات ..

فإذا كانت المعجزة تتمثل فى إنسان واحد أو أكثر يجلب للآخرين ما لا يستطيعون جلبه أو يحقق لهم ما لا يستطيعون تحقيقه، بهبة من الآلهة أو بعطاء من الله، فإن الفعل هو العمل الذى يعود على فاعله بالقدر نفسه من الجهد، أى أن ينتظر الإنسان عائد عمله دون انتظار للمعجزات ..

تيارات فكرية
تتصارع في الغرب

تيارات فكرية تتصارع فى الغرب

فى فرنسا بالتحديد ، وعلى مدى السنوات الأخيرة أخذت تتكون فى أعقاب أحداث « مايو » الشهيرة تيارات فلسفية التقت جميعاً حول ضرورة إعادة تقييم المواقف والآراء والنظريات الفلسفية التقليدية ، ورفض منطلقات « ماركس » و« تروتسكى » و« فرويد » ، وتجديد علم النفس ، وإحلال علم الأخلاق بدلاً من العلوم السياسية ، وتجنب معطيات الاقتصاد السياسى ، والثورة على طرق تدريس الفلسفة ومدرسيها ، والبحث عن صيغ لغوية وأسلوبية جديدة ، ومحاولة الربط دائماً بين التنظير والتطبيق .. وبرغم كل هذا الهدم والرفض والمنع والتقويض ، فإنهم لم يأتوا بفلسفة جديدة ، أو حتى بمنهج فكرى جديد ، لأنهم غير قادرين بعد – ونرجو ألا يكون مطلقاً – على البناء .

ومع هذا اختلفوا فيما بينهم ، فتباينت آراؤهم ، وتعارضت سبلهم ، وتعددت قضاياهم ..

وقد برز من بين هؤلاء « الفلاسفة الجدد » عشرة من « المفكرين الصغار » بعد أن غاب عن الساحة عمالقة الفلسفة : « سارتر » و« بشلار » و« مارسيل » و« بونتى » وغيرهم ..

أما هؤلاء العشرة فهم : يودريار (جان) ويرى أن الماركسية « لم تعد قادرة فى العصر الحديث على تطوير المجتمعات وتأمين احتياجاتها ، وتحقيق أحلامها وتثبيت قيمها ، فى وقت تحولت فيه هذه المجتمعات إلى طاقات استهلاكية أكثر منها إمكانيات إنتاجية ، نتيجة للدعاية الطاغية والموضات المتغيرة التى فرضتها الرأسمالية ضماناً لمصالحها ، وتدعيماً لمكاسبها دون أى مراعاة للبناء الاقتصادى المعرض للانهيار » .

وينتقد بونوا (جان – مارى) فى كتابه « مات ماركس » التعاليم الماركسية – اللينينية ، المتعللة بنظرية حتمية التاريخ ، كما جاء فى كتاب « رأس المال » ، والقائلة بأن الكون مادة أبدية .. ويرى « بونوا » أن الفكر الصينى بزعامة « ماو » ماهو إلا نتاج للفكر الماركسى ، برغم خلافه مع

المناهج والمسالك السوفيتية ، وأن كليهما فى حقيقة الأمر مصب لمنابع الفكر الغربى ، غير القادر هو الآخر – شأنهما معاً – على التوفيق بين ما يقال من كلمات ضخمة وشعارات رنانة ، وما يتحقق منها على أرض الواقع ، تطبيقًا للأهداف السامية التى تستهدف سلام الإنسان ورفاهيته ورخاءه .

أما كاستورياديس (كورنيليوس) فيرى أن خطأ ماركس الفادح كان فى تقسيمه لطبقات المجتمع الواحد ، ودفعه للصراع الطبقى اعتقادًا خاطئاً منه – كما ثبت فى العصر الحديث – بأن تطور المجتمع يقوم دائماً على الأيدى العاملة وتوفر الإنتاج ، متناسياً تماماً القوى الخارجية التى أسماها هو نفسه بالطبيعة ، وتقول الأديان جميعاً والإنسان على فطرته بأنها الله .. ومن هنا كان هذا التناقض الظاهر بين المجتمع والتاريخ .. و« كاستورياديس » لايعترف بالفلاسفة بدءًا بسقراط وأفلاطون وأرسطو وانتهاء بسارتر ، وإن كان يعترف بأهمية « نيتشه » وبآرائه الفلسفية . وهو من أشد المطالبين بتغيير طرق تدريس الفلسفة فى المدارس والمعاهد والجامعات ، ومن أكثر المتشددين ضد المدرسين والأساتذة الذين أصبحوا عبيدًا للمفاهيم التقليدية التى لم تعد صالحة للعصر ، ولا لأى من طبقاته ، بما فى ذلك الطبقة البورجوازية التى ينتمون إليها ، والتى يخدمون مصالحها منطلقين من أفكارها ومبادئها البالية .

شاتوليه (فرنسوا) الذى صب جام ثورته هذه فى كتابه « فلسفة الأساتذة » ، وفيه يبين الفارق بين الفلسفة كنظريات ، وتدريس الفلسفة بمعنى ذلك الاختلاف بين المفكر والفيلسوف وأستاذ الفلسفة .

ومن أشد المعجبين بنيتشه وفلسفته دولوز (جيل) مؤلف « نيتشه والفلسفة » و« رأسمالية وشيزوفرانيا » وإن حاول أن يعيد تقييم « هيوم » و« كانط » و« سبينوزا » و« بروست » على العكس من زملائه الرافضين لكل الفلاسفة على الإطلاق ..

و« دولوز » يعترض على علوم النفس التحليلية التى تصيب الإنسان بحالة من الشيزوفرانيا أو الانفصام ، كما يستنكر كل الممنوعات التى تقف ضد رغبات الإنسان الطبيعية بدعوى الأخلاق .

ومن أهم مؤلفات ديريدا (جاك) « الصوت والظاهرة » و« شيء من علم اللغة » و« الكتابة والاختلاف » .. وهو ينادى بالثورة على لغة الفلسفة ، وخاصة الفلسفة الغربية التى تفرق بين ما هو منطوق وما هو مكتوب ، مبيناً أن كليهما ضرورى لاستقامة المعنى والمبنى ، تماماً مثل الروح والجسد فى الوجود الإنسانى .. وركز كل فلسفته على دراسة اللغة المدونة

فى الفلسفة من ناحية ، والمستخدمة فى حياتنا اليومية من ناحية أخرى ، فهو يرى أن اللغة ظاهرة حية من ظواهر الإنسان ، والتى كانت وستظل سبباً جوهريًّا فى متاعبه ومشاكله على مر العصور .

ويصب دول (جان –بول) هجوماً عنيفاً فى كتابه « رغبة الثورة » على الماركسية التى سمحت لستالين بالحكم بنظام القبضة الحديدية ، كما أتاحت الفرصة لديكتاتورية الأحزاب بالتحكم فيما أسمته الطبقة الكادحة أو العاملة .. كما أكد على أن هذا الفكر فقد صلاحيته منذ نصف قرن من الزمان ، مما يؤكدعلى أنه كان فكرًا وليد الحاجة والظروف ، وليس فكرًا إنسانيًّا نافعاً لكل الأجيال .. ويدعو « دول » للثورة الثقافية ، ولكن ليس على الطريقة الصينية ، مشيرًا إلى الخلاص بالأدب والفن منبعى الفلسفة الإنسانية الجديدة ..

من أكثر المناهضين للحروب القديمة والحديثة ، وخاصة الهتلرية ، ومن أكثر المنددين بالقهر والظلم ، وخاصة فى المعتقلات ، جلاكسمان (أندريه) الذى يبين أن الطبقات المعدمة هى أكثر الطبقات تعرضاً لاستبداد الحكم القائم على استهداف السلطة ، سواء كان نازيًّا أو شيوعيًّا أو ديكتاتوريًّا ، وأن هذه الطبقات غالباً ما تضيع فى مقولات وقوالب وشعارات النظم السياسية المختلفة ، والتى تلقى رواجاً فى

الدول الاشتراكية وتلقى معارضة فى الدول الرأسمالية .

ويتفق ليوتار (جان – فرنسوا) مع « دول » فى أن الخلاص فى عالمنا الجديد سيتحقق عن طريق الأدب والفن .. ويرى أن الكلمة المنطوقة لكى تصلح لعصرنا لابد أن تصبح مرئية ، وهذا ما يجعله يبحث فى إمكانية اللغة وقدرتها على التجسد ، كما يرى أن الفلسفة – وهى قمة الفكر والتفكير – ما هى إلا إحدى غرائز الإنسان المعنوية التى تختلف كثيرًا عن غرائزه الحسية ، والتى يجب أن تنطلق بدون قيود بحجة الأخلاق ، حتى تتحرر الطبقة الكادحة فلاتجد فى قيم البورجوازية والأرستقراطية قيودًا تفرض الفوارق وتقيم الفواصل بينها .

لم يكتف سوريه (ميشيل) بالاعتقاد فى الأدب والفن سبيلاً للخلاص ، ولكنه أضاف إليهما العلم والمعرفة ، وهو يرى أن الفكر الجديد لابد أن يقوم على مصادره القديمة ، وأن الفواصل بين العلوم المختلفة لم تعد قائمة فى عصرنا الحديث بعد أن تجمعت كل العلوم فى علم كونى واحد ، يطالب بتسخيره من أجل رفاهية الإنسان وليس من أجل تدميره .. وأنه بقدر ما كانت الفلسفة ثابتة المفاهيم والمعايير ، فإن العلم الحديث متحرك حركة لا نهائية وبلا حدود .